البلاذري

الفتنة

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في إسناده، قالوا: التقى أهل الأمصار الثلاثة الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام وكان رئيس أهل الكوفة كعب بن عبدة الهندي، ورئيس أهل البصرة المثنى بن مُحر بن العبدي، ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر بن عتاب بن عوف السكوني ثم التجيبي، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله و تركه الوفاء بما أعطى من نفسه وعاهد الله عليه وقالوا: لا يسعنا الرضى بهذا فاجتمع رأيهم على أن يرجع كل واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصر. فيكون رسول من شهد مكة من أهل الخلاف على عثمان إلى من كان على مثل رأيهم من أهل بلده وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره فيستعتبوه فإن أعتب وإلا رأوا رأيهم فيه، ففعلوا ذلك. فلما حضر الوقت خرج الأشتر إلى المدينة في مائتين، وخرج حكم بن جبلة العبدي في مائة ولحق به بعد ذلك خمسون فكان في مائة وخمسين وجاء أهل مصر وهم أربع مائة، ويقال خمسة مائة، ويقال سبع مائة ويقال ست مائة، عليهم أمراء أربعة أبو عمرو بن بديل بن ورقاء بن عبدالعزى الخزاعي على ربع وعبدالرحمن بن عديس البلوي على ربع، وكنانة بن بشر التجيبي على ربع وعروة بن شييم بن البياع الكناني ثم الليثي على ربع، فلما أتوا المدينة أتوا دار عثمان ووثب معهم رجال من أهل المدينة منهم عمار بن ياسر

العنسي ورفاعة بن رافع الأنصاري وكان بدرياً، والحجاج بن غزوية وكانت له صحبة ، وعامر بن بكير أحد بني كنانة فحصروا عثمان الحصار الأول.

وقال الواقدي في إسناده: لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله وما الناس فيه من عُماله ويكثرون عليه ويسأل بعضهم بعضاً أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يدفع عن عثمان ولاينكر ما يقال فيه: إلا زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي وكعب بن مالك بن أبي كعب من بني سلمة من الأنصار وحسان بن ثابت الأنصاري، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى علي فسألوه أن يكلم عثمان ويعظه فأتاه فقال له: إن الناس ورائي قد كلموني في أمرك ووالله لا أدري ما أقول لك ما أعرفك شيئاً تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه، وإنك لتعلم ما تعلم وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، لقد صحبت رسول الله ﷺ وسمعت ورأيت مثل ما سمعنا ورأينا وما ابن أبي قحافة وابن الخطاب بأولى بالحق منك ، ولأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً ولقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فإنك لا تبصر من عمي ولا تُعلم من جهل، فقال له عثمان: والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عتبت عليك إن وصلت رحماً وسددت خلة وآويت ضائعاً ووليت من كان عمر يوليه، نشدتك الله ألم يول عمر المغيرة بن شعبة وليس هناك؟ قال نعم، قال: أولم يول معاوية فقال علي: إن معاوية كان أشد خوفاً وطاعة لعمر من يرفأ وهو الآن يبتز الأمور دونك ويقطعها بغير علمك ويقول للناس هذا أمر عثمان ويبلغك فلا تغير، ثم خرج وخرج عثمان بعده فصعد المنبر فقال: أما بعد فإن لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون

طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون لكم ما تكرهون مثل النعام يتبعون أول ناعق أحب مواردهم إليهم البعيد، والله لقد نقمتم علي ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وخبطكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم، وألنت لكم كنفي وكففت عنكم لساني ويدي فاجترأتم عليَّ، فأراد مروان الكلام فقال له عثمان: اسكت ودعني وأصحابي.

وقال الواقدي في رواية: وكان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة لا يفتران من التحريض على عثمان بمصر فخرج بن عُديس البلوي وسودان بن حمران المرادي وعمرو بن الحمق الخزاعي وعروة بن شبيم الليثي في خمس مائة وأظهروا أنهم يريدون العمرة وكان خروجهم في رجب ووجه عبدالله بن سعد ابن أبي سرح إلى عثمان بخبرهم رسولاً سار إحدى وعشرين ليلة وساروا المنازل حتى نزلوا بذي خشب، فقال عثمان: هؤلاء يظهرون أنهم يريدون العمرة والله ما يريدون إلا الفتنة لقد طال على الناس عمري ولئن فارقتهم ليتمنون يوماً من أيامي. فأتى عثمان علياً في منزله، فقال له: يا بن عم، إن قرابتي قريبة وحقي عظيم والقوم فيما بلغني على أن يصبحوني ليقتلوني وأنا أعلم أن لك عند الناس قدراً وأنهم يسمعون منك فأحب أن تركب إليهم فتردهم على أن أصير إلى ما تشير به وتراه ولا أخرج عن أمرك ولا أخالفك، فركب علي ومعه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أبو الأعور، وأبوالجهم بن حذيفة العدوي وجبر بن مُطعم، وحكيم بن حزام، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد ومن الأنصار أبو حميد الساعدي، وأبو أسيد الساعدي، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك، ومحمد بن مسلمة، وقال بعضهم: إن عمار بن ياسر كان معهم، فكلمهم علي ومحمد بن مسلمة حتى

انصرفوا راجعين إلى مصر ثم لم ينشبوا أن رجعوا وادعوا أموراً فأقسم عثمان أنه لم يفعلها.

وحدثني بكر بن الهيثم: حدثني إسماعيل بن عبدالكريم من آل منبه اليماني حدثني عبدالرزاق عن معمر عن الزهري، أن الناس كانوا يأتون علياً لسابقته وقرابته وفضله لا أنه أراد ذلك منهم، وكان مروان يأتي عثمان فيخبره أنه يؤلب الناس عليه ويعصب كل شيء يكون من أهل مصر وغيرهم به، وأبلغه عنه أن قوماً قدموا من مصر فاستقل عدتهم فقال لهم: ارجعوا فتأهبوا فإني باعث إلى العراق من يأتيني من أهله بجيش يبطل الله به هذه السيرة الجائرة ويريح من مروان وذويه، فقال عثمان: اللهم إن علياً أبى إلا حُب الإمارة فلا تبارك له فيها.

محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جريج وداود بن عبدالرحمن العطار عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله، أن المصريين لما نزلوا بذي خُشب بعث عثمان إليهم محمد بن مسلمة في خمسين من الأنصار أنا فيهم فلم يزل بهم حتى رجعوا فرأوا بعيراً عليه ميسم الصدقة وعليه غلام لعثمان فوجدوا معه كتاباً أن اقتل فلاناً وفلاناً فرجعوا فحصروه.

وروى أبو مخنف: أن المصريين وردوا المدينة فأحاطوا وغيرهم بدار عثمان في المرة الأولى، فأشرف عليهم عثمان فقال: أيها الناس ما الذي نقمتم علي فإني معتبكم ونازل عند محبتكم؟ فقالوا: زدت في الحمى لإبل الصدقة على ما حمى عمر، فقال: إنها زادت في ولايتي، قالوا: أحرقت كتاب الله، قال: اختلف الناس في القراءة فقال هذا قرآني خير من قرآنك، وقال هذا: قرآني خير من قرآنك، وكان حذيفة أول من أنكر ذلك وأنهاه إلي فجمعت الناس على

القراءة التي كتبت بين يدي رسول الله ﷺ ، قالوا: فلم أحرقت المصاحف أما كان فيها ما يوافق هذه القراءة التي جمعت الناس عليها فهلا تركت المصاحف بحالها؟ قال: أردت أن لا يبقى شيء إلا ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ وثبت في الصحف التي كانت عند حفصة زوج رسول الله ﷺ وأنا أستغفر الله، قالوا: فإنك لم تشهد بدراً، قال: خلفني رسول الله ﷺ على ابنته، قالوا: لم تشهد بيعة الرضوان، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى مكة فصفق عني بيده وشمالُ رسول الله ﷺ خير من يميني، قالوا: فررت من الزحف، قال: فإن الله قد عفا عن ذلك، قالوا: سيرت خيارنا وضربت أيسارنا ووليت علينا سفهاء أهل بيتك، قال: إنما سيرت من سيرت مخافة الفتنة فمن مات منهم فارضوا بالله حكماً بيني وبينه ومن بقي منهم فردوه واقتصوا مني لمن ضربت، وأما عمالي فمن شئتم عزله فاعزلوه ومن رأيتم إقراره فأقروه، قالوا: فمال الله الذي أعطيت قرابتك، قال: اكتبوا به علي للمسلمين صكاً لأعجل منه ما قدرت على تعجيله وأسعى في باقيه، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زنى بعد إحصان، أو كفر بعد إيمان، أو أن يقتل رجل رجلاً فيقتل به » ووالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام ولا قتلتُ نفساً بغير حقها ولا ابتغيت بديني بدلاً مذ هداني الله للإسلام ولا والله ما وضعت يدي على عورتي مذ بايعت رسول الله ﷺ إكراماً ليده.

فلما قال هذه المقالة كسر حلماءهم عنه ونصب له كنانة بن بشر التجيبي وعروة بن شييم فأقبلا لا يقلعان ولا يكفان عنه، وأتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له دعني آت القوم فأنظر ما يريدون، فمضى نحوهم فلما دنا منهم صاحوا به: يا أعور وراءك، يا فاجر وراءك، يا فاسق وراءك، فرجع. ودعا عثمان

عمرو بن العاص فقال له: ائت القوم فادعهم إلى كتاب الله والعتبى مما ساءهم فلما دنا منهم سلم فقالوا: لا سلم الله عليك، ارجع يا عدو الله، ارجع يا بن النابغة فلست عندنا بأمين ولا مأمون، فقال له ابن عمر وغيره ليس لهم إلا علي ابن أبي طالب فلما أتاه قال: يا أبا الحسن ائت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، قال: نعم إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أنك تفي لهم بكل ما أضمنه عنك، قال: نعم، فأخذ علي عليه عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ. وخرج إلى القوم فقالوا: وراءك قال: لا بل أمامي تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم فعرض عليهم ما بذل عثمان، فقالوا: أتضمن ذلك عنه، قال: نعم، قال: رضينا وأقبل وجوههم وأشرافهم مع علي حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه فأعتبهم من كل شيء، فقالوا: اكتب هذا كتاباً فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين، إن لكم أن أعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه يُعطى المحروم ويؤمن الخائف ويرد المنفي ولا تجمر البعوث ويوفر الفيء، وعلي بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب، شهد الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن مالك بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمرو، وزيد بن ثابت، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب خالد بن زيد، وكتب في ذي العقدة سنة خمس وثلاثين فأخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا.

وقال علي بن أبي طالب لعثمان اخرج فتكلم كلاماً يسمعه الناس ويحملونه عنك وأشهد الله على ما في قلبك فإن البلاد قد تمخضت عليك ولا تأمن أن يأتي ركب آخر من الكوفة أو من البصرة أو من مصر فتقول: يا علي اركب

إليهم فإن لم أفعل قلت قطع رحمي واستخف بحقي. فخرج عثمان فخطب الناس فأقر بما فعل واستغفر الله منه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زل فلينب» فأنا أول من اتعظ فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليردوني برأيهم فوالله لو ردني إلى الحق عبد لاتبعته وما عن الله مذهب إلا إليه، فَسُرَّ الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابه مبتهجين بما كان منه، فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال: شاهت وجوهكم ما اجتماعكم أمير المؤمنين مشغول عنكم فإن احتاج إلى أحد منكم فسيدعوه فانصرفوا. وبلغ علياً الخبر فأتى عثمان وهو مغضب فقال: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بإفساد دينك وخديعتك عن عقلك وإني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، وقالت له امرأته نائلة بنت القرافصة: قد سمعت قول علي بن أبي طالب في مروان وقد أخبرك أنه غير عائد إليك. وقد أطعت مروان ولا قدر له عند الناس ولا هيبة. فبعث إلى علي فلم يأته.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال: سمعت عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ذكر مروان فقال: قبحه الله خرج عثمان على الناس فأعطاهم الرضى وبكى على المنبر حتى استهلت دموعه فلم يزل مروان يفتله في الذروة والغارب حتى لفته عن رأيه، قال وجئت إلى علي فأجده بين القبر والمنبر ومعه عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان صنع مروان بالناس قلت: نعم.

قال أبو مخنف: لما شخص المصريون بعد الكتاب الذي كتبه عثمان فصاروا بأيلة أو بمنزل قبلها رأوا راكباً خلفهم يريد مصر، فقالوا له: من أنت؟ قال

رسول أمير المؤمنين إلى عبدالله بن سعد وأنا غلام أمير المؤمنين وكان أسود، فقال بعضهم لبعض لو أنزلناه ففتشناه ألايكون صاحبه قد كتب فينا بشيء ففعلوا فلم يجدوا معه شيئاً: فقال بعضهم لبعض خلوا سبيله فقال كنانة ابن بشر: أما والله دون أن أنظر في إداوته فلا فقالوا سبحان الله أيكون كتاب في ماء، فقال: إن للناس حيلاً ثم حل الإداوة فإذا فيها قارورة مختومة، أو قال مضمومة، في جوف القارورة كتاب في أنبوب من رصاص فأخرجه فقرئ فإذا فيه: أما بعد فإذا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه واقطع يدي ابن عديس وكنانة وعروة ثم دعهم يتشحطون في دمائهم حتى يموتوا ثم أوثقهم على جذوع النخل، فيقال: إن مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان. فلما عرفوا ما في الكتاب قالوا: عثمان مُحَلّ ثم رجعوا عودهم على بدئهم حتى دخلوا المدينة فلقوا علياً بالكتاب وكان خاتمه من رصاص، فدخل به علي على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولايعرفه وقال: أما الخط فخط كاتبي وأما الخاتم فعلى خاتمي، قال علي: ومن تتهم؟ قال: أتهمك وأتهم كاتبي، فخرج علي مغضباً وهو يقول: بل هو أمرك. قال أبو مخنف: وكان خاتم عثمان بدءاً عند حمران بن إبان ثم أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه.

وجاء المصريون إلى دار عثمان فأحدقوا بها، وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم: يا عثمان أهذا كتابك؟ فجمد وحلف، فقالوا: هذا شر، يكتب عنك بما لا تعلمه، ما مثلك يلي أمور المسلمين فاختلع من الخلافة، فقال: ما كنت لأنزع قميصاً قمصنيه الله أو قال سربلنيه الله.

(البلاذري -أنساب الأشراف ج٥ ص٥٩-٦٦)

معاوية بن يزيد

وأما معاوية بن يزيد فولاه أبوه يزيد عهده في صحته، ويقال بايع له حين احتضر فلما مات يزيد بايع الناس معاوية وأتته بيعة الآفاق إلا ما كان من ابن الزبير، فولي ثلاثة أشهر ويقال أربعين يوماً ويقال عشرين يوماً، ولم يزل في أيامه مريضاً. وكان الضحاك بن قيس يصلي بالناس فلما ثقل قيل له: لو عهدت عهداً، فقال: والله ما نفعتني حياً أفأتحملها ميتاً والله لا يذهب بنو أمية بحلاوتها القليلة وأتحمل مرارتها الطويلة، وإذا مت فليصل علي الوليد بن عتبة وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختاروا لأنفسهم رجلاً مرضياً عندهم. فلما مات صلى عليه الوليد، وقام مروان بن الحكم على قبره فقال: أتدرون من دفنتم؟ قالوا: نعم معاوية بن يزيد، قال: بل دفنتم أبا ليلى، يستضعفه، وكانوا يكنون كل ضعيف أبا ليلى. فقال بعض بني فزارة:

لا تُخدعن فإن الأمر مختلف والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

وقام الضحاك بأمر الناس بدمشق، ولم يعزل معاوية بن يزيد أحداً من عمال أبيه ولا حرك شيئاً ولا أمر ولا نهى، وكان موته سنة أربع وستين وهو ابن تسع عشرة سنة، ويقال ابن عشرين، ويقال ابن ثماني عشرة سنة، ويقال ابن إحدى وعشرين سنة، ودفن بدمشق.

وحُدثت عن ابن الكلبي أنه قال: ولي أبو ليلى معاوية بن يزيد أربعين يوماً وتوفي وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وثمانية عشر يوماً.

حدثني هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد حدثني زيد بن واقد قال: مرض يزيد بن معاوية بعد ولايته الأمر بسنتين من كبده فلما برئ واستقل قال

لحسان بن مالك بن بحدل إني أريد البيعة لمعاوية بن يزيد، قال فافعل فدعاه يزيد فعانقه بولاية العهد وبايع له حسان بن مالك والناس. وكان معاوية ركيكاً ليناً فكني أبا ليلى، وهي كنية كل ضعيف. قال هشام بن عمار: وسمعت الوليد بن مسلم يقول: كانت أم معاوية بن يزيد، وهي أم هاشم بنت أبي هاشم ابن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس امرأة برزة عاقلة فدعا يزيد يوماً بمعاوية بن يزيد وأمه حاضرة فأمره بأمر فلما ولى قالت له لا وليت معاوية عهدك، فقال: أفعل وناظر حسان بن مالك بن بحدل الكلبي في أمره فشجعه على البيعة له، فأحضر الناس وأعلمهم أنه قد ولاه الخلافة بعده فبايع له ابن بحدل والناس، فلما مات يزيد بحوارين بويع لمعاوية بالخلافة وهو كاره، وكان سبب موت يزيد أنه ركض فرساً فسقط عنه وأنه أصابه قُطع، ويقال إن عنقه اندقت. وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي [حدثني وهب بن جرير حدثنا أبي]: أن يزيد بن معاوية كان استخلف معاوية بن يزيد فولي شهرين أو أربعين ليلة ثم مات، فلما حضرته الوفاة قيل له: لو استخلفت، فقال: كفيتها حياتي وأتضمنها بعد موتي فأبى وقال: وكان فتى لا بأس به ومات وله تسع عشرة سنة.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه، قال: كان معاوية كارهاً للخلافة، وكان يكنى أبا عبدالرحمن بكنية جده، ومات ابن ثلاث وعشرين ودفن في مقبرة باب الصغير بدمشق. حدثني محمد بن يزيد الرفاعي، حدثني عمي كثير ابن محمد عن ابن عياش الهمداني عن أبي أسماء السكسكي قال: كان معاوية ابن يزيد يظهر التأله وكان ضعيفاً في أمر دنياه فكني أبا ليلى، فلما أفضى الأمر إليه قام خطيباً فقال: أيها الناس إن يكن هذا الأمر خيراً فقد استكثر منه آل أبي سفيان وإن يكن شراً فما أولاهم بتركه، والله ما أحب أن أذهب إلى الآخرة

وأدع لهم الدنيا، ألا فليصل بكم حسان بن مالك وتشاوروا في أمركم عزم الله لكم على الرشد والخيرة في قضائه، ثم نزل فأغلق بابه وتمارض فلم ينظر في شيء حتى مات، وصلى حسان بالناس وهم منكرون لأمرهم حتى ولى ابن الزبير الضحاك بن قيس فبايعوه له، وإن حسان أول حد الأردن فأقام هناك.

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال: دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له: أعطيت من نفسك ما يُعطى الذليل الهين، ثم رفع صوته فقال: من أراد أن ينظرفي خلافة آل حرب بن أمية فلينظر إلى هذا، فقال له معاوية: يا بن الزرقاء اخرج عني لا قبل الله لك عذراً يوم تلقاه. وحدثني محمد بن مصفى الحمصي قال سمعتُ مشايخ من مشايخنا يقولون: إن معاوية ابن يزيد بن معاوية قبل البيعة وهو لها كاره، فلما مات أبوه أنفذت كتب بيعته إلى الآفاق فلم يرجع الجواب حتى مات. وكان فتى صالحاً كثير الفكر في أمر معاده.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال: ولى يزيد بن معاوية معاوية بن يزيد ابنه الخلافة بعده وكان كارهاً لها، فلما مات أبوه خطب الناس فقال: إن كانت الخلافة خيراً فقد استكثر آل أبي سفيان منه وإن كان شراً فلا حاجة لنا فيه، فاختاروا لأنفسكم إماماً تبايعوه هو أحرص على هذا الأمر مني واخلعوني فأنتم في حل من بيعتي، فقالت له أمه أم هاشم: لوددت يا بني أنك كنت نسياً منسياً وأنك لم تضعف هذا الضعف، فقال وددت والله أني كنت نسياً منسياً ولم أسمع بذكر جهنم، فلما احتضر قيل له لو بايعت لأخيك خالد بن يزيد فإنه أخوك لأبيك وأمك فقال: ياسبحان الله

كفيتها حياتي وأتقلدها بعد موتي، يا حسان بن مالك اضبط ما قبلك وصل بالناس إلى أن يرضى المسلمون بإمام يجتمعون عليه.

وحدثني هشام بن عمار حدثني إسماعيل بن عياش عن عبدالله بن دينار عن مولى لمعاوية بنحوه، وزاد فيه: فلما مات معاوية مال أكثر الناس إلى ابن الزبير وقالوا: هو رجل كامل السن وقد نصر أمير المؤمنين عثمان وهو ابن حواري رسول الله ﷺ وأمه بنت أبي بكر بن أبي قحافة وله فضل في نفسه ليس لغيره، فما هو إلا أن ورد كتاب ابن الزبير بتولية الضحاك بن قيس دمشق حتى سارعوا إلى طاعة ابن الزبير وبيعته فأخذها الضحاك عليهم وانخذل ابن بحدل إلى فلسطين فأقام بها ينتظر ما يكون وهو في ذلك يدعو إلى خالد بن يزيد ويذكره، وكانت فلسطين والأردن في يده من قبل يزيد بن معاوية ثم بقي عليهما وعُماله فيهما. قال المدائني: كان اسم أم معاوية وخالد ابني يزيد فاختة وكنيت أم هاشم ثم كناها يزيد أم خالد بخالد ابنها ولقبت حبة.

(البلاذري، أنساب الأشراف ج٤ص٦٢-٦٥)

فتح مدينة دمشق وأراضيها

قالوا: لما فرغ المسلمون من قتال من اجتمع لهم بالمرج أقاموا خمس عشرة ليلة ثم رجعوا إلى مدينة دمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ١٤هـ، فأخذوا الغوطة وكنائسها عنوة وتحصن أهل المدينة وأغلقوا بابها فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي في زهاء خمسة آلاف ضمهم إليه أبو عبيدة، وقوم يقولون إن خالداً كان أميراً وإنما أتاه عزله وهم محاصرون دمشق، سمي الدير الذي نزل عنده خالد دير خالد، ونزل عمرو بن العاص على باب توما، ونزل

شرحبيل على باب الفراديس ونزل أبو عبيدة على باب الجابية، ونزل يزيد بن أبي سفيان على الباب الصغير إلى الباب الذي يعرف بكيسان. وجعل أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي على مسلحة ببرزة. وكان الأسقف الذي أقام لخالد النزل في بدأته ربما وقف على السور فدعى له خالداً فإذا أتى سلم عليه وحادثه، فقال له ذات يوم: يا أبا سليمن إن أمركم مقبل ولي عليك عدة فصالحني عن هذه المدينة. فدعا خالد بدواة وقرطاس فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها، أعطاهم أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يُهدم ولا يسكن شيء من دورهم، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ﷺ والخلفاء والمؤمنين، لا يعرف لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية.

ثم إن بعض أصحاب الأسقف أتى خالداً في ليلة من الليالي فأعلمه أنها ليلة عيد لأهل المدينة وأنهم في شغل وأن الباب الشرقي قد رُدم بالحجارة وترك، وأشار عليه أن يلتمس سلماً، فأتاه قوم من أهل الدير الذي عند عسكره بسلمين فرقى جماعة من المسلمين عليهما إلى أعلى السور ونزلوا إلى الباب وليس عليه إلا رجل أو رجلان فتعاونوا عليه وفتحوه وذلك عند طلوع الشمس. وقد كان أبو عبيدة عانى فتح باب الجابية وأصعد جماعة من المسلمين على حائطه فانصب مقاتلة الروم إلى ناحيته فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً ثم إنهم ولوا مدبرين، وفتح أبو عبيدة والمسلمون معه باب الجابية عنوة ودخلوا منه فالتقى أبو عبيدة وخالد بن الوليد بالمسلاط وهو موضع النحاسين بدمشق، وهو البريص الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول:

يسقون من ورد البريص عليهم [بردى يصفق بالرحيق السلسل]

وقد روي أن الروم أخرجوا ميتاً لهم من باب الجابية ليلاً وقد أحاط بجنازته خلق من شجعانهم وكماتهم وانصب سائرهم إلى الباب فوقفوا عليه ليمنعوا المسلمين عنهم، وإن المسلمين نذروا بهم فقاتلوهم على الباب أشد قتال وأبرحه حتى فتحوه في وقت طلوع الشمس، فلما رأى الأسقف أن أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي فدخل والأسقف معه ناشراً كتابه الذي كتبه له، فقال بعض المسلمين: والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه، فقال أبو عبيدة: إنه يجوز على المسلمين أدناهم. وأجاز صلحه وأمضاهُ ولم يلتفت إلى ما فتح عنوة فصارت دمشق صلحاً كلها. وكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر وأنفذه، وفتحت أبواب المدينة فالتقى القوم جميعاً. وفي رواية أبي مخنف وغيره أن خالداً دخل دمشق بقتال وأن أبا عبيدة دخلها بصلح فالتقيا بالزيَّاتين والخبر الأول أثبت.

وزعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم. وقال محمد بن سعد قال أبو عبدالله الواقدي: قرأت كتاب خالد ابن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه إنصاف المنازل والكنائس، وقد روي ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه، ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بأنطاكية فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون. وقد روى قوم أن أبا عبيدة كان بالباب الشرقي وأن خالداً كان بباب الجابية، وهذا غلط. قال الواقدي: وكان فتح مدينة دمشق في رجب سنة ١٤هـ وتاريخ كتاب خالد بصلحها في شهر ربيع الآخر سنة١٥هـ، وذلك أن خالداً كتب الكتاب بغير تاريخ فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمع لهم باليرموك أتى الأسقف خالداً فسأله أن يجدد له كتاباً ويشهد عليه أبا عبيدة والمسلمين ففعل وأثبت في

الكتاب شهادة أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل ابن حسنة وغيرهم فأرخه بالوقت الذي جدده. وحدثني القاسم بن سلام قال حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبدالعزيز التنوخي قال: دخل يزيد مدينة دمشق من الباب الشرقي صلحاً فالتقيا بالفسطاط فأمضيت كلها على الصلح. وحدثني القاسم قال حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبي المهلب الصنعاني عن أبي الأشعث الصنعاني أو أبي عثمان الصنعاني أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر. حدثني أبو عبيد قال حدثنا نعيم بن حماد عن ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبي سلمة قال: خاصم حسان بن مالك عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبدالعزيز في كنيسة كان رجل من الأمراء أقطعه إياها، فقال عمر: إن كانت من الخمس العشرة الكنيسة* التي في عهدهم فلا سبيل لك عليها. قال ضمرة عن علي بن أبي حملة: خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبدالعزيز في كنيسة كان فلان قطعها لبني نصر بدمشق فأخرجنا عمر عنها وردها إلى النصارى، فلما ولي يزيد بن عبدالملك ردها إلى بني نصر.

حدثني أبو عبيد قال حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي أنه قال: كانت الجزية بالشام في بديء الأمر جريباً وديناراً على كل جمجمة، ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً وجعلهم طبقات لغنى الغني وإقلال المقل وتوسط المتوسط. قال هشام: وسمعت مشايخنا يذكرون أن اليهود كانوا كالذمة للنصارى يؤدون إليه الخراج فدخلوا معهم في الصلح. وقد ذكر بعض الرواة أن خالد بن الوليد صالح أهل دمشق فيما صالحهم عليه على أن ألزم كل رجل من الجزية ديناراً وجريب حنطة وخلاً وزيتاً لقوت المسلمين. [حدثنا عمرو الناقد قال حدثنا

* كذا في الأصل ولعل الصواب: الخمس عشرة كنيسة (المصحح).

عبدالله بن وهب المصري عن عمرو بن محمد عن نافع عن أسلم مولى عمر بن الخطاب] أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد يأمرهم أن يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى وأن يجعلوها على أهل الورق على كل رجل أربعين درهماً، وعلى أهل الذهب أربعة دنانير، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مديان* حنطة وثلاثة أقساط زيتاً كل شهر لكل إنسان بالشام والجزيرة، وجعل عليهم ودكاً وعسلاً لا أدري كم هو، وجعل لكل إنسان بمصر في كل شهر أردباً وكسوة وضيافة ثلاثة أيام. وحدثنا عمرو بن حماد بن أبي حنيفة، قال حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن أسلم، أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام. وحدثني مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله.

قالوا: ولما ولي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبدالملك بن مروان في أيامه للزيادة في المسجد وبذل لهم مالاً فأبوا أن يسلموها إليه. ثم إن الوليد بن عبدالملك جمعهم في أيامه وبذل لهم مالاً عظيماً على أن يعطوه إياها فأبوا فقال: لئن لم تفعلوا لأهدمنها فقال بعضهم يا أمير المؤمنين إن من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة فاحفظه قوله ودعا بمعول وجعل يهدم بعض حيطانها بيده وعليه قباء خز أصفر ثم جمع الفعلة والنقاضين فهدموها وأدخلها المسجد، فلما استخلف عمر بن عبدالعزيز شكى النصارى إليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده في المسجد عليهم فكره أهل دمشق ذلك وقالوا: نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه وصلينا ويرد بيعة، وفيهم يومئذ سليمن ابن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء وأقبلوا على النصارى فسألوهم أن يُعطوا

* كذا في الأصل والصواب: مدّان.

جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة وصارت في أيدي المسلمين على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها فرضوا بذلك وأعجبهم، فكتب به إلى عمر فسره وأمضاه. وبمسجد دمشق في الرواق مما يلي المئذنة كتاب في رخامة بقرب السقف مما أمر ببنيانه أمير المؤمنين الوليد سنة ٨٦هـ، وسمعت هشام بن عمار يقول: لم يزل سور مدينة دمشق قائماً حتى هدمه عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس بعد انقضاء أمر مروان وبني أمية.

وحدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبدالعزيز عن مؤذن مسجد دمشق وغيره قالوا: لما اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بُصرى ففتحوها صلحاً وانبثوا في أرض حوران جميعاً فغلبوا عليها، وأتاهم صاحب أذرعات فطلب الصلح على مثل ما صولح عليه أهل بُصرى على أن جميع أرض البثنية أرض خراج فأجابوهم إلى ذلك ومضى يزيد بن أبي سفيان حتى دخلها وعقد لأهلها. وكان المسلمون يتصرفون بكور حوران والبثنية ثم مضوا إلى فلسطين والأردن وغزوا ما لم يكن فُتح، وسار يزيد إلى عمان ففتحها فتحاً يسيراً بصلح على مثل صلح بُصرى، وغلب على أرض البلقاء، وولى أبو عبيدة وقد فتح هذا كله فكان أمير الناس حين فتحت دمشق إلا أن الصلح كان لخالد و أجاز صلحه. وتوجه يزيد بن أبي سفيان في ولاية أبي عبيدة ففتح عرندل صلحاً وغلب على أرض الشراة وجبالها. قال: وقال سعيد بن عبدالعزيز أخبرني الوضين أن يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وهي سواحل وعلى مقدمته أخوه معاوية فتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها، وتولى فتح عرقة معاوية نفسه في ولاية يزيد. ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان بن عفان فقصد

لهم عثمان وولي معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي إلى أطرابلس وهي ثلاث مدن مجتمعة فبنى في مرج على أميال منها حصناً سمي حصن سفيان وقطع المارة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدهم أو يبعث إليهم مراكب يهربون منها إلى ما قبله فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا، فلما أصبح سفيان ـ وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ثم يغدو على العدو ـ وجد الحصن الذي كانوا فيه خالياً فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود، وهو الذي فيه المينا اليوم. ثم إن عبدالملك بناه بعدُ وحصنه. . . وقال علي بن محمد المدائني: قال عتاب بن إبراهيم: فتح أطرابلس سفيان بن مُجيب ثم نقض أهلها أيام عبدالملك ففتحها الوليد بن عبدالملك في زمانه. وحدثني أبو حفص الشامي عن سعيد عن الوضين قال: كان يزيد بن أبي سفيان وجه معاوية إلى سواحل دمشق سوى أطرابلس فإنه لم يكن يطمع فيها فكان يقيم على الحصن اليومين والأيام اليسيرة فربما قوتل قتالاً غير شديد وربما رمى ففتحها. قال: وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج لها إليه من المسلمين فإن حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سربوا إليها الإمداد، فلما استخلف عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها وإقطاع من ينزله إياها القطائع، ففعل. وحدثني أبو حفص سعيد بن عبدالعزيز قال: أدركتُ الناس وهم يتحدثون أن معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل، فكتب إليه في مرمّة حصونها وترتيب المقاتلة فيها وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ

المواقيد لها، ولم يأذن له في الغزو بحراً وأمره أن يُعد في السواحل إذا غزا أو أغزا جيوشاً سوى من فيها من الرتب، وأن يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل، ويبني المساجد ويكبر ما كان ابتنى منها قبل خلافته. قال الوضين: ثم إن الناس بعد انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية.

(البلاذري، فتوح البلدان ص٢٠-٢٨)

ذكر تمصير الكوفة

حدثني محمد بن سعد، قال حدثنا محمد بن عمر الواقدي عبدالحميد بن جعفر وغيره، أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيراواناً وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً، فأتى الأنبار وأراد أن يتخذها منزلاً فكثر على الناس الذباب فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح فتحول إلى الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل وأنزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها وذلك في سنة ١٧ . وحدثني علي بن المغيرة الأثرم قال حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أشياخه قال وأخبرني هشام بن الكلبي عن أبيه ومشايخ الكوفيين قالوا لما فرغ سعد بن أبي وقاص من واقعة القادسية وجه إلى المدائن فصالح أهل الرومية وبهر سير ثم افتتح المدائن وأخذ أسبانبر وكرد بندار عنوة فأنزلها جندها فاحتووها، فكتب إلى سعد أن حولهم فحولهم إلى سوق حكمة، وبعضهم يقول حولهم إلى كويفة دون الكوفة. قال الأثرم وقد قيل التكوف الاجتماع، وقيل أيضاً إن المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفاين، وبعضهم يسمي الأرض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة. قالوا: فأصابهم البعوض، فكتب سعد إلى عمر يعلمه أن الناس قد بعضوا وتأذوا بذلك، فكتب إلى عمر: إن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل،

فارتد لهم موضعاً عدناً ولا تجعل بيني وبينهم بحراً. وولى الاختطاط للناس أبا الهياج الأسدي عمرو بن مالك بن جُنادة. ثم إن عبدالمسيح بن بُقيلة أتى سعداً وقال له أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المباق، فدله على موضع الكوفة اليوم وكان يقال لها: سورستان. فلما انتهى إلى موضع مسجدها أمر رجلاً فعلا بسهم قِبَل مهب القبلة فأعلم على موقعه، ثم علا بسهم آخر مهب الشمال وأعلم علَى موقعه، ثم علا بسهم قِبَل مهب الجنوب وأعلم على موقعه، ثم علا بسهم قبل مهب الصبا فأعلم على موقعه، ثم وضع مسجدها ودار إمارتها في مقام العالي وما حولها وأسهم لنزار وأهل اليمن بسهمين على أنه من خرج بسهمه أولاً فله الجانب الأيسر وهو خيرهما فخرج سهم أهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات، وترك ما دونها فناء للمسجد ودار الإمارة. ثم إن المغيرة ابن شعبة وسعه وبناه زياد فأحكمه وبنى دار الإمارة، وكان زياد يقول: أنفقت على كل اسطوانة من أساطين مسجد الكوفة ثماني عشرة مائة. وبنى فيها عمرو ابن حُريث المخزومي بناء وكان زياد يستخلفه على الكوفة إذا شخص إلى البصرة، ثم بنى العمال فيها فضيقوا رحابها وأفنيتها. . . [وحدثني وهب ابن بقية الواسطي قال: حدثنا يزيد بن هارون عن داود بن أبي هند] عن الشعبي قال: كنا (يعني أهل اليمن) اثني عشر ألفاً وكانت نزار ثمانية آلاف، ألا ترى أنا أكثر أهل الكوفة، وخرج سهمنا بالناحية الشرقية فلذلك صارت خططنا بحيث هي.

وحدثني علي بن محمد المدائني، عن مسلمة بن محارب وغيره قالوا: زار المغيرة في مسجد الكوفة وبناه ثم زاد فيه زياد. وكان سبب إلقاء الحصى فيه وفي

مسجد البصرة أن الناس كانوا يصلون فيه فإذا رفعوا أيديهم وقد تربت نفضوها، فقال زياد ما أخوفني أن يظن الناس على غابر الأيام أن نفض الأيدي سنة في الصلاة، فزاد في المسجد ووسعه وأمر بالحصى فجمع وألقي في صحن المسجد، وكان الموكَّلون بجمعه يتعنتون الناس ويقولون لمن وظفوه عليه: إيتونا به على ما نريكم وانتقوا منه ضروباً اختاروها. فكانوا يطلبون ما أشبهها فأصابوا مالاً فقيل حبذا الإمارة ولو على الحجارة. وقال أبو عبيدة: وكان تكويف الكوفة في سنة ١٨هـ قال: وكان زياد اتخذ في مسجد الكوفة مقصورة ثم جددها خالد بن عبدالله القسري.

[وحدثني حفص بن عُمر العمري قال حدثني] الهيثم بن عدي الطائي قال: أقام المسلمون بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيها، ثم إن المسلمين استوخموها واستوبؤوها فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى عمر، فكتب إليه عمر أن تنزلهم منزلاً غربياً، فارتاد كويفة ابن عمر فنظروا فإذا الماء محيط بها فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر وكان يدعى: خد العذراء، ينبت الخزام والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق، فاختطوها. وحدثني شيخ من الكوفيين أن ما بين الكوفة والحيرة كان يسمى الملطاط.

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف عن محمد بن إسحق قال: اتخذ سعد بن أبي وقاص باباً مبوباً من خشب، وخص على قصره خصاً من قصب فبعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة الأنصاري حتى أحرق الباب والخص وأقام سعداً في مساجد الكوفة فلم يقل فيه إلاخيراً. وحدثني العباس بن الوليد النرسي وإبراهيم العلاف البصري قالوا: حدثنا أبو عوانة عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة، أن أهل الكوفة سعوا بسعد بن أبي

وقاص إلى عمر وقالوا: إنه لا يحسن الصلاة، فقال سعد: أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم عنها، أركدُ في الأولتين وأحذف في الأخرتين، فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحق، فأرسل عمر رجالاً يسألون عنه بالكوفة فجعلوا لا يأتون مسجداً من مساجدها إلا قالوا: خيراً وأنبوا معروفاً حتى أتوا مسجداً من مساجد بني عبس فقال رجل منهم يقال له أبو سعدة: أما إذا سألتمونا عنه فإنه كان لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأدم فقره وأعم بصره وعرضه للفتن، قال عبدالملك فإذا رأيته بعد يتعرض للإماء في السلك، فإذا قيل له كيف أنت يا أبا سعدة قال: كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. قال العباس النرسي في غير هذا الحديث إن سعداً قال لأهل الكوفة: اللهم لا تُرضي عنهم أميراً ولا ترضهم بأمير. وحدثني العباس النرسي في غير هذا الحديث: إن سعداً قال لأهل الكوفة: اللهم لا ترضي عنهم أميراً ولا ترضهم بأمير. وحدثني العباس النرسي قال: بلغني أن المختار بن أبي عبيد أو غيره قال: حسب أهل الكوفة شرف وبغضهم تلف.

قال (الشعبي): وعزل عمر سعداً وولى عمار بن ياسر فشكوه وقالوا: ضعيف لا علم له بالسياسة، فعزله وكانت ولايته الكوفة سنة وتسعة أشهر. فقال عمر: من عذيري من أهل الكوفة، إن استعملت عليهم القوي فجّروه، وإن ولّيت عليهم الضعيف حقّروه، ثم دعى المغيرة بن شعبة فقال: إن وليتك الكوفة أتعود إلى شيء مما قرفت به؟ قال: لا، وكان المغيرة حين فتحت القادسية صار إلى المدينة، فولاه عمر الكوفة فلم يزد عليها حتى توفي عمر، ثم إن عثمان ابن عفان ولاها سعداً ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو

ابن أمية فلما قدم عليه قال له سعد. إما أن تكون كستَ بعدي أو أكون حمقتُ بعدك. ثم عزل الوليد وولّى سعيد بن العاص بن سَعيد بن العاص بن أمية.

وحدثني أبو مسعود الكوفي عن بعض الكوفيين قال: سمعتُ مسعر بن كدام تحدث قال: كان مع رستم يوم القادسية أربعة آلاف يسمون جند شهانشاه فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا ويحالفوا من أحبوا ويفرض لهم في العطاء فأعطوا الذي سألوه وحالفوا زهرة بن حوية السعدي من بني تميم وأنزلهم سعد بحيث اختاروا وفرض لهم في ألف ألف وكان لهم نقيب منهم يقال له: ديلم فقيل حمراء ديلم، ثم إن زياد سيّر بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية فهم بها يدعون الفرس، وسير منهم قوماً إلى البصرة فدخلوا في الأساورة الذين بها. قال أبو مسعود والعرب تسمي العجم الحمراء، ويقولون، جئت من حمراء ديلم. كقولهم: جئت من جهينة. وأشباه ذلك. قال أبو مسعود: وسمعت من يذكر أن هؤلاء الأساورة كانو مقيمين بإزاء الديلم فلما غشيهم المسلمون بقزوين أسلموا على مثل ما أسلم عليه أساورة البصرة وأتوا الكوفة فأقاموا بها. وحدثني المدائني قال: كان أبرويز وجه إلى الديلم فأتى بأربعة الآف وكانوا خدمه وخاصته، ثم كانوا على تلك المنزلة بعده وشهدوا القادسية مع رستم، فلما قتل وانهزم المجوس اعتزلوا وقالوا: ما نحن كهؤلاء ولا لنا ملجأ وأثرنا عندهم غير جميل والرأي لنا أن ندخل معهم في دينهم فنعز بهم فاعتزلوا، فقال سعد: ما لهؤلاء، فأتاهم المغيرة بن شعبه، فسألهم عن أمرهم فأخبروه بخبرهم وقالوا: ندخل في دينكم فرجع إلى سعد فأخبره فأمنهم فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد وشهدوا فتح جلولاء، ثم تحولوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين.

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: جبانة السبيع نسبت إلى ولد السبيع بن سبع بن صعب الهمداني، وصحراء أثير نسبت إلى رجل من بني أسد يقال له أثير، ودكّان عبدالحميد نسب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب عامل عمر بن عبدالعزيز على الكوفة. . . قال: وكانت دار الرومیين مزبلة لأهل الكوفة تُطرح فيها القمامات والكساحات حتى استقطعها عنبسة بن سعيد بن العاص من يزيد بن عبدالملك فأقطعه إياها فنقل ترابها بمائة وخميسين الف درهم. وقال أبو مسعود سوق يوسف بالحيرة نسب إلى يوسف ابن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل، وهو عامل هشام على العراق. وأخبرني أبو الحسن علي ابن محمد وأبو مسعود قالا: حمام أعين نسب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص، وأعين هذا هو الذي أرسله الحجاج بن يوسف إلى عبدالله بن الجارود العبدي من رستقاباذ حين خالف وتابعه الناس على إخراج الحجاج من العراق ومسألة عبدالملك تولية غيره، فقال له حين أدى الرسالة: لولا أنك رسول لقتلتك. قال أبو مسعود: وسمعتُ أن الحمام قبله كان لرجل من العباد يقال له جابر أخو حيان الذي ذكره الأعشى، وهو صاحب مسناة جابر بالحيرة فابتاعه من ورثته وقال ابن الكلبي: وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الأزد من بني عمرو ابن مازن من الأزد وهم من غسان، قال وحمام عمر نسب إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص. قالوا: وشهار سوج بجيلة بالكوفة إنما نسب إلى بني بجلة وهم ولد مالك بن ثعلبة ابن يُهنة بن سليم بن منصور، وبجلة أمهم وهي غالبة على نسبهم فغلط الناس فقالوا: بجيلة. وجبانة عرزم نسبت إلى رجل يقال له: عرزم وكان يضرب فيها اللبن ولبنها رديء فيه قصب وخزف، فربما وقع الحريق

فيها فاحترقت الحيطان . . . وجبانة بشر نسبت إلى بشر بن ربيعة بن عمرو بن منارة بن قُمير الخثعمي الذي يقول :

نحن بباب القادسية ناقتي وسعد بن وقاص علي أمير

قال أبو مسعود وكان بالكوفة موضع يعرف بعنترة الحجام وكان أسود، فلما دخل أهل خراسان الكوفة كانوا يقولون : حمام عنترة فبقي الناس على ذلك، وكذلك حجّام خرج وضحّاك رواس وبيطار حيّان، ويقال رستم، ويقال صليب وهو بالحيرة . وقال هشام بن الكلبي نسبت زرارة إلى زرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بني البكّا بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكانت منزله، وأخذها منه معاوية بن أبي سفيان، ثم أصفيت بعد حتى أقطعها محمد ابن الأشعث بن عُقبة الخزاعي، قال ودار حكيم بالكوفة في أصحاب الأنماط نسبت إلى حكيم بن سعد بن ثور البكّاي، وقصر مقاتل نسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن محروق أحد بني امرئ القيس ابن زيد بن مناة بن تميم . قال : والسوادية بالكوفة نسبت إلى سواد بن زيد بن عدي بن زيد الشاعر العبادي وجده حماد بن زيد بن أيوب بن محروق . وقرية أبي صلابة التي على الفرات نسبت إلى صلابة بن مالك بن طارق بن جبر بن همام العبدي . وأقساس مالك نسبت إلى مالك بن قيس بن عبد هند بن لجم أحد بني حذافة بن زهر بن إياد بن نزار . ودير الأعور لرجل من إياد من بني أمية ابن حذافة كان يسمى الأعور وفيه يقول أبو داؤود الأيادي :

ودير يقول له الرائدو ن ويل أم دار الحذافي دارا

ودير قُرة نسب إلى قرة أحد بني أمية بن حذافة وإليهم ينسب دير السوا،

والسوا العدل كانوا يأتونه فيتناصفون فيه ويحلف بعضهم لبعض على الحقوق، وبعض الرواة يقول: السوا امرأة منهم. قال ودير الجماجم لإياد وكانت بينهم وبين بني بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وبين بني القين بن جسر بن شيع الله بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف حرب فقتل فيها من إياد خلق، فلما انقضت الوقعة دفنوا قتلاهم عند الدير، وكان الناس بعد ذلك يحفرون فخرج جماجم فسمي دير الجماجم، هذه رواية الشرقي القطامي؛ وقال محمد بن السائب الكلبي كان مالك الرماح بن محرز الإيادي قتل قوماً من الفرس ونصب جماجمهم عند الدير فسمي دير الجماجم. ويقال: إن دير كعب لإياد ويقال لغيرهم. ودير هند لأم عمرو بن هند، وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وأمه كندية.

قالوا: ومسجد بني عنز نسب إلى بني عنز بن وائل بن قاسط. ومسجد بني جذيمة نسب إلى جذيمة بن مالك بن نصر بن قُعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان ابن أسد، ويقال إلى بني جذيمة بن رواحة العبسي، وفيه حوانيت الصيارفة. قال: وبالكوفة مسجد ينسب إلى بني المقاصف بن زكوان بن زبينة بن الحارث ابن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ولم يبق منهم أحد. قال ومسجد بني بهدلة نسب إلى بني بهدلة بن المِثْل بن معاوية من كندة.

قال: وقصر العدسيين في طرف الحيرة لبني عمار بن عبدالمسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عُدس الكلبي نسبوا إلى جدتهم عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي وهي أم الرماح والمشط ابني عامر المذم. وحدثني شيخ من أهل الحيرة قال: وجد في قراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر أن المسجد

الجامع بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور وحُسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم.

وحدثني أبو مسعود وغيره قال: كان خالد بن عبدالله بن أسد بن كرز القسري من بجيلة بنى لأمه بيعة هي اليوم سكة البريد بالكوفة وكانت أمه نصرانية. قال: وبنى خالد حوانيت أنشأها وجعل سقوفها آزاجاً معقودة بالآجر والجص. وحفر خالد النهر الذي يعرف بالجامع واتخذ بالقرية قصراً يعرف بقصر خالد، واتخذ أخوه أسد بن عبدالله القرية التي تعرف بسوق أسد وسوقها ونقل الناس إليها فقيل: سوق أسد وكان العبد الآخر صنيعة عتاب بن ورقاء الرياحي وكان معسكره حين شخص إلى خراسان والياً عليها عند سرقه[1] هذا.

حدثني أبو مسعود وغيره قالوا: كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم، فأتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة أهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا، فلما ظهر أمير المؤمنين أبو العباس نزل تلك المدينة واستتم مقاصير فيها وأحدث فيها بناء وسماها الهاشمية، فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال: ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها فرفضها وبني بحيالها المدينة الهاشمية ونزلها، ثم اختار نزول الأنبار فبنى بها مدينته المعروفة فلما توفي دفن بها. واستخلف أبو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئاً كان بقي منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما أراد، ثم تحول منها إلى بغداد فبنى مدينة ومصر بغداد وسماها مدينة السلام وأصلح سورها القديم الذي يبتدئ من دجلة وينتهي إلى الصراة.

(١) لعلها سوقه.

وحدثني أبو مسعود قال: أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر خندقها وألزم كل امرئ منهم للنفقة عليه أربعين درهماً، وكان ذاماً لهم لميلهم إلى الطالبين وإرجافهم بالسلطان... وحدثنا الحسين قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن نافع بن جبير بن مطعم قال، قال: عمر بالكوفة وجوه الناس. وحدثنا الحسين وإبراهيم بن مسلم الخوارزمي قالا: حدثنا وكيع عن يونس بن أبي إسحاق عن الشعبي قال: كتب عمر إلى أهل الكوفة، إلى رأس الإسلام. وحدثنا الحسين بن الأسود قال: حدثنا وكيع عن قيس بن الربيع عن شمر بن عطية قال: قال عمر، وذكر الكوفة فقال: هم رمح الله وكنز الإيمان وجمجمة العرب يحرزون ثغورهم ويمدون أهل الأمصار. وحدثنا أبو نصر الشمار قال حدثنا شريك بن عبدالله بن أبي شريك العامري عن جندب عن سلمان قال: الكوفة قبة الإسلام يأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا وهو بها أو يهوى قلبه إليها.

(البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٧٥-٢٨٩)